الصَّديقُ المُخادِع

تأليف: محمد سوداني

رسم: لؤي جوبان

يَعيشُ الشّابُّ «ماهِر» وَحيدًا في شِقَّتِهِ الصَّغيرَةِ في إحْدى المُدُنِ السّاحِلِيَّةِ الجَميلَة. وذاتَ صَباحٍ، تَلَبَّدَتِ السَّماءُ بِالسُّحُبِ الكَثيفَة، وقَصَفَ الرَّعْدُ ولَمَعَ البَرْق، هَطَلَتِ الأمْطارُ بِغَزارَةٍ. وكادَتِ الشَّوارِعُ تَخْلو مِنَ المارَّة.

أَطَلَّ «ماهِر» مِنَ البابِ فَشاهَدَ شابًّا نَحيفًا مُبَلَّلًا، تَكادُ السُّيولُ تَجْرِفُه. فَأشْفَقَ عَلَيْهِ ودَعاهُ لِلدُّخولِ إلى بَيْتِهِ لِيَحْتَمِيَ مِنَ المَطَر. قَبِلَ الشّابُّ الدَّعْوَةَ بِكُلِّ سُرورٍ. وفي الدّاخِل، أعْطى «ماهِر» لِضَيْفِهِ زِيًّا رِياضِيًّا قَديمًا، فَنَزَعَ مَلابِسَهُ المُبَلَّلَةَ ولَبِسَه. ثُمَّ قَدَّمَ إلَيْهِ قَهْوَةً ساخِنَةً وبَعْضًا مِنَ الحَلَوِيّات.

تَبادَلَ «ماهِر» و«شُكْري» الحَديثَ طَويلًا.

وعِنْدَما تَوَقَّفَتِ الأمْطار، وقَبْلَ أنْ يُغادِرَ «شُكْري» البَيْتَ قالَ ضاحِكًا: «أنْتَ شابٌّ لَطيفٌ، وأنا سَعيدٌ بِمَعْرِفَتِكَ. وبَيْتُكَ جَميلٌ، وأجْمَلَ ما فيهِ ذَلِكَ الحاسوبَ المَحمولَ الأنيق!».

رَدَّ «ماهِر»: «وأنا أيْضًا فَخورٌ بِمَعْرِفَةِ شابٍّ يُحِبُّ الرِّياضَةَ والإنْتِرْنَت مِثْلي. هَلْ تَسْتَطيعُ البَقاءَ حَتّى نَتَناوَلَ طَعامَ الغَداءِ مَعًا؟ فَأنا طَبّاخٌ بارِعٌ!».

ـ أنا مُسْتَعْجِلٌ الآن، فَأُمّي تَنْتَظِرُني.

ومُنْذُ ذَلِكَ الصَّباح، أصْبَحَ «شُكْري» و«ماهِر» صَديقَيْنِ حَميمَيْنِ يَلْتَقِيانِ كَثيرًا في بَيْتِ «ماهِر» وفي المَقاهي والشَّوارِع. ويَقومانِ بِزِياراتٍ لِلمُتْحَف، لِحَديقَةِ الحَيَواناتِ ولِمَعْرَضِ الكِتاب... ويُشَجِّعانِ فَريقَهُما المُفَضَّلَ في المَلْعَبِ بِكُلِّ روحٍ رِياضِيَّةٍ.

وبَعْدَ أسابيعَ قَليلَةٍ، قادَ «شُكْري» «ماهِر» إلى أحَدِ المَقاهي البَعيدَة، وطَلَبَ إلَيْهِ الجُلوسَ ثُمَّ غَطّى وَجْهَهُ بِيَدِه، وخاطَبَهُ وهُوَ يُشيرُ بإصْبَعِه: «أرَأَيْتَ ذَلِكَ الرَّجُل؟».

ـ نَعَم، نَعَم، أراهُ بِوُضوحٍ. مَنْ هُو؟

ـ إنَّهُ عَمّي، صاحِبُ هَذا المَقْهى. وهُوَ عَلى قَطيعَةٍ مَعَ

أبي، ولا أحَدَ يُكَلِّمُ الآخَرَ مُنْذُ سَنَواتٍ بِسَبَبِ مُشْكِلَةٍ في الميراث.

ـ المَشاكِلُ يُمْكِنُ حَلُّها بِالحِوارِ لا بِالخِصام.

ـ عَمّي «مَحْمود» يَمْنَعُني مِنْ زِيارَةِ جَدَّتي الَّتي تَسْكُنُ عِنْدَه. ولِذَلِك، أطْلُبُ إلَيْكَ أنْ تَبْقى هُنا وتُراقِبَه حَتّى أزورَها بِسُرْعَةٍ وأعودَ إلَيْك. فَزَوْجَةُ عَمّي وأبْناؤُهُ يَسْمَحونَ لي بِذَلِك.

حَرَّكَ «ماهِر» رَأْسَهُ بِالمُوافَقَة، فَأكْمَلَ «شُكْري» كَلامَه: «إذا غادَرَ عَمّي المَقْهى، فَاتَّصِلْ بي بِسُرْعَةٍ. لا أُريدُ أنْ يَراني في بَيْتِه».

وقَبْلَ أنْ يَرُدَّ «ماهِر»، انْطَلَقَ «شُكْري» بِسُرْعَةٍ ثُمَّ رَجِعَ وهُوَ يَتَحَسَّسُ جُيوبَه: «يَبْدو أنَّني نَسيتُ الهاتِفَ في بَيْتِكَ! أَعْطِني المِفْتاحَ سَآخُذُهُ مِنْ هُناك، ولَنْ أتَأَخَّرَ عَلَيْكَ».

أعْطاهُ «ماهِر» مِفْتاحَ البَيْت. فَغادَرَ المَكانَ وهُوَ يُخْفي وَجْهَه.

بَقِيَ «ماهِر» يَتَأمَّلُ المَقْهى، الَّذي يَمْتازُ بِالهُدوءِ ويُقَدِّمُ خِدْمَةَ الإنْتِرْنَت، حَتّى اقْتَرَبَ مِنْهُ رَجُلٌ مُرَحِّبًا: «مَرْحَبًا بِكَ يا أُسْتاذ. هَلْ تَطْلُبُ شَيْئًا؟».

رَدَّ «ماهِر»: «نَعَمْ يا عَمّ مَحْمود أُريد...».

قاطَعَهُ الرَّجُلُ مُسْتَغْرِبًا: «ماذا قُلْت؟ عَمّ مَحْمود؟! أنا لُطْفي، وأعْمَلُ نادِلًا في هَذا المَقْهى».

ـ هَلْ أنْتَ مُتَأَكِّدٌ؟! ألَسْتَ صاحِبَ المَقْهى؟!

ـ طَبْعًا، مُتَأكِّدٌ. مالِكُ المَقهى يَعْمَلُ في الخارِجِ مُنْذُ سَنَواتٍ.

ـ شُكْرًا يا سَيِّدي. لَقَدْ تَمَّ خِداعي.

ومِنْ دونِ أنْ يَفْهَمَ النّادِلُ شَيْئًا، سَحَبَ «ماهِر» كُرْسِيَّهُ بِغَضَبٍ ورَكِبَ أوَّلَ سَيّارةِ أُجْرَةٍ، وعادَ إلى بَيْتِه... وما إن نَزَلَ «ماهِر» مِنْ سَيّارَةِ الأُجْرَةِ حَتّى شاهَدَ مِنْ بَعيدٍ «شُكْري» يَتَسَلَّلُ مِنَ المَنْزِل، وهُوَ يَحْمِلُ الحاسوبَ المَحْمول.

جَرى «ماهِر» بَعْضَ الخُطُواتِ وأمْسَكَ بِهِ وأخَذَ مِنْهُ

الحاسوبَ والمِفْتاح، ثُمَّ أدْخَلَهُ إلى البَيْت، وقالَ لَه: «اِفْتَحْ بابَ الخِزانَةِ بِسُرْعَةٍ».

فَتَحَ «شُكْري» البابَ مُرْتَعِشًا، فَأضافَ «ماهِر»: «هَلْ تَرى تِلْكَ العُلْبَةَ الكَبيرَة؟ يوجَدُ في داخِلِها حاسوبٌ مَحْمولٌ جَديدٌ. كُنْتُ سَأهْديكَ إيّاه، لَكِنَّ طَمَعَكَ حَرَمَكَ مِنْ ذَلِك».

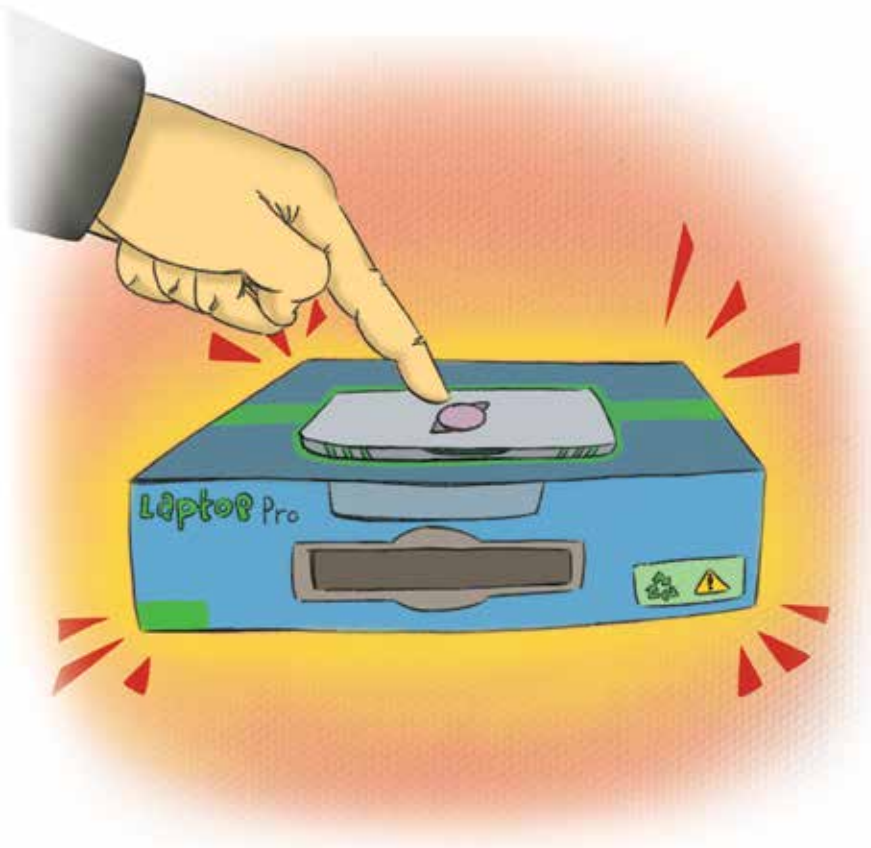

خَجِلَ «شُكْري» مِنْ تَصَرُّفِه، وحاوَلَ الاعْتِذار. لَكِنَّ «ماهِر» طَرَدَهُ مِنَ البَيْتِ بَغَضَبٍ: «كُنْتُ أعُدُّكَ أخًا وصَديقًا لي لَكِنَّكَ خَدَعْتَني، ولَنْ أُسامِحَكَ أبَدًا. كانَ عَلَيَّ أنْ أخْتارَ الصَّديقَ الطَّيِّب، وأنْ أبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ مُخادِعٍ».

عِنْدَها، غادَرَ «شُكْري» الحَيَّ وهُوَ نادِمٌ عَلى ما فَعَل.

ومُنْذُ ذَلِكَ اليَوْم، قَرَّرَ «ماهِر» أنْ يَبْحَثَ عَنْ أصْدِقائِهِ القُدامى، وألّا يَثِقَ بِسُرْعَةٍ بِالغُرَباء. فَمِنَ المُمْكِنِ أنْ نُحِبَّ أكْثَرَ النّاس، لَكِنْ عَلَيْنا ألّا نَثِقَ إلّا بِالقَليلِ مِنْهُم.